الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي

الأستاذ: لخضر بن بوزيد، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

هناك الكثير من الاراء حول اصول الجمال في شمال إفريقيا فمن الاراء المتداولة أنه أدخل من طرف الرومان في القرن الثالث الميلادي بينما أراء أخرى تقول بأنه أدخل من طرف العرب، من جهة أخرى المؤرخون القدامى يذكرون أن الرومان قد استولوا على 24 جملا كانت الملك النوميدي يـوبا الأول.

مع ذلك فإنه لا يمكن القبول بأن الجمال أدخلت في العهد الروماني حيث أنها كانت موجودة في مصر والشرق الادنى في النيوليتى وتم إستأناسها على الاقل في الالف الثالثة قبل الميلاد، كما أن وجود الجمال في شمال إفريقيا بالغ القدم حيث اكتشفت بقايا لهذا الحيوان ضمن طبقة تعود للبلايستوسان الاسفل أما مشاهد الفن الصخري الصحراوي التى يظهر فيها الجمل فتعود القديمة منها إلى الالف الاولى قبل الميلاد.

Résumé:

Sur la question de la première apparition du dromadaire en Afrique, il y a des points de vue très différents qui ont été exprimés. La première opinion dit que le chameau a été introduit en Afrique du nord dans la III siècle de notre ère avec les romains, d'autres opinions suggèrent que le chameau on été introduit à l'époque arabe. Nous savons aussi que les historiens de l'Antiquité ont mentionné qu'entre l'an 46 av. J.-C et 24 av. J-C, les chameaux tombèrent aux mains des Romains après la défaite de Juba I.

D'autre part, nous savons que le chameau existe dans la préhistoire de l'Afrique du Nord dont plusieurs fossiles on été trouvé dans l'Algérie qui datent au pléistocène inferieur. Ils existent aussi dans l'art rupestre saharien dans la période dit Camaline dans le premier millénaire av J.C. Il est très ancien dans le Proche Orient ou il était domestiqué dans le troisième millénaire av J.C.

الجمل في ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا:

1.أ التعريف بالجمل :

يعتبر الجمل حيوان عجيبا فهو يتمتع بجسم قوي وبقدرة كبيرة على تحمل قساوة الصحراء والجفاف وله اهمية كبيرة في حياة البدو لذلك أطلق العرب عليه أسماء عديدة، وهو حيوان ثدي قد يزيد وزنه عن 650 كلغرام وله ارجل طويلة ترفع جسمه بعيدًا عن حرارة الرمال الشديدة كما تساعده على اتساع خطواته وخفة حركته وتنتهى كل رجل بوسادة عريضة من الدهن والألياف المرنة والتي تغلفها طبقة سميكة من الجلد تسمى "الخف"، وبواسطته يستطيع اليسير فوق الرمال الناعمة، كما يستطيع الجمل أن يسير فوق الصخور الصلبة الشديدة الحرارة ورأس الجمل مستطيل الشكل ومتوسط الحجم، وله عينان كبيرتان تبصران جيدًا فى الليل والنهار، وهما محاطتان بأهداب طويلة وكثيفة على الجفنين تحميهما من الرمال وحرارة الشمس المحرقة.

ويغطي جسم الجمل جلد سميك مكسو بالوبر يحفظه كثيرًا من حرارة الشمس، وسنام الجمل عبارة عن مخزن كبير للدهون يتكون فوق ظهره على شكل هرمي وهو مفيد جّدا له فعندما يتعرض الجمل للجوع أو العطش الشديد يقوم بتحويل ما يحتاج إليه من هذا الدهن إلى غذاء وماء، وبذلك يمكنه أن يصبر على الجوع والعطش لعدة أيام.

اليوم هناك نوعان من الجمال، هما:

- الجمل ذو السنامين :C.bactreanus وينتشر في أواسط آسيا وجنوبها وشبه القارة الهندية.
- الجمل ذو السنام الواحد :C.dromedarius ويسمى الجمل العربي يوجد في الشرق الاوسط وشمال أفريقيا وبعض المناطق الأخرى من العالم مثل وسط أستراليا.

أ.2 الموطن الأصلي للجمل:

يختلف العلماء في تحديد أصول عائلة الجمال فقد وجدت بقايا قديمة جدا في شمال إفريقيا كما وجدت بقايا أخرى في أواسط آسيا لكن الرأي الغالب هو أن أصول هذا الحيوان من أمريكا، فقد ظهرت عائلة الجمالCamelinae ظهرت الجمال في أمريكا الشمالية منذ **45** مليون سنة في عصر الايوسين **Eocene** كما عاشت مجموعات من جمال صغيرة في جنوب كاليفورنيا منذ **28** مليون سنة.

وفي الميوسين المبكر أي منذ أكثر من 25 مليون سنة ظهر جنسان من عائلة الجمال في أمريكا الشمالية هما : الجمل العملاق **Camelini** واللاما **Lamini,** تطور كلا النوعين بشكل منفصل، ومنذ 7 مليون سنة هاجرت أولى الجمال من أمريكا إلى أوراسيا، حيث ظهر في آسيا نوع **Paracamelus** في أنحاء من آسيا حيث وجدت بقاياه في افغانستان والصين وفي رومانيا وهنغاريا وروسيا وتركيا ثم في إسبانيا، ومن غرب آسيا انتقل الجمل وحيد السنام عبر شبه الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا[1].

في الوقت الذي تحركت بعض الجماعات الصغيرة من فصائله في إتجاه الجنوب إلى أمريكا الجنوبية لتُكوّن الفصائل الأربعة التي تنتمي إلى عائلة الجمال وهي : حيوان اللاما llamas وحيوان الألباكا Alpaca، وحيوان الغوْناق Guanaco وحيوان الفيكونا Vicuna [2].

في الزمن الجيولوجي الثالث وخلال عصر الميوسين الاعلى كان مستوى المحيط منخفضا بحيث اصبح مضيق بهرينج ممر بين أمريكا الشمالية وآسيا، العديد من الحيوانات نجحت في الانتقال بين المنطقتين ومن بينها جمل الميوسين العملاق Megatylopus وفي الميوسين النهائي توغل الجمل في منطقة غرب المتوسط في إفريقيا ثم إلى أوربا، علما بان البقايا المكتشفة لهذا الحيوان في إفريقيا تعود إلى البليوسين المبكر(أنظر الشكل 1).

وهذا الجمل الذي يمكـن أن نسـميه جمـل البليوسـين Paracamelus وهـو شبيه بالنوع الحالي إستطاع أن يتكيف مـع الحـرارة في المنـاطق القريبـة مـن البحـر الاسود (مناطق غابية وشبه غابية)، حيث تم اكتشاف بقايـاه في بقايـاه في مولـدافيا ثم إنقرضت هذا الجمل فيما يبدو ليظهر في زمن الفيلا فرانشيان(*).الاوسط ضمن البليوسين المتأخر في مواقـع عديـدة مـن جنـوب روسـيا الأوربيـة إلى كزاخسـتان وطاجكستان وأوزبكستان(3).

وجدت أقدم الجمال بالنسبة لإفريقيا في كسوم بوقادي **Kossom Bougoudi** في تشاد وتعود إلى حوالي 5 مليون سنة وفي كوبي فورا **Koobi Fora** بكينيا فيما بين 4.35 و4.1 مليون سنة وفي لاوتولي بتانزانيا **Laetoli** وبحيرة إشكول بتونس وفي وادي النطرون في مصر أما الزمن المقدر لهذه الحيوانات فهو بداية عصر البليوسان **Pliocene**، و في أوربا وجدت البقايا في الميوسين المتأخر في كل من قانتا دال مورو **Venta del Moro** في شرق إسبانيا وفي لبريا **Librilla** في مرسية في الجنوب الشرقي كما وجد في تورليان **Turolian** بتركيا، و في كل من أوكرانيا وروسيا بالنسبة لأسيا وجد في كازاخستان و الصين تعود إلى البليوسين النهائي، وفي أوديسيا تعود الجمال العملاقة المكتشفة هناك إلى البليوسين المبكر، أما في غرب اسيا فتعود إلى أواسط البليوسان (4).

ب. الجمل في الزمن الجيولوجي الرابع:

ب.1 الجمال في بلاد المغرب:

ب.1.1 البقايا الاثرية والنصوص القديمة:

الجمال كانت موجودة منذ البلايستوسان الاسفل والاوسط في بلاد المغرب فقد إكتشفه بومال A. **Pomel** في موقع تغنيف ضمن بقايا الاشولية وقد أعطى له إسما هو(**) **Thomasii** وهذا النوع من الجمال اكبر حجما من الجمل الحالي قد ظل هذا النوع موجودا إلى غاية البليستوسين النهائي حيث وجد في البقايا

الموستيرية والعاترية في بير شعاشع جنوب تبسة وفي القطار في قفصة بتونس وكيفان بن لغماري في تازة بالمغرب، أما في الهلوسان فقد إنقرض وحل محله الجنس الحالي وقد وجدت بقاياه في مواقع قليلة منها : فوردلو وكهف الصخرة الكبيرة وجبل فرطاس وكلها تعود للنيوليتي و في المجاز بسطيف يعود إلى القفصية العليا حوالي الالف السادسة قبل الميلاد[5]. الجمال التي وجدت في البلايستوسان تختلف عن النوع الحالي، كما أن الجمال كانت تعيش في بداية الامر الحياة البرية في النيوليتي فمتى تم إستأناسها وما مدى قدمها في المنطقة ؟.

من أهم المشكلات المتعلقة بالجمل هي الاختلاف حول زمن ظهوره وتوسعه في المنطقة و هل هو أصيل فيها ، فوفقا لأقوال فيلكس قوتي E. F. Gautier الجمل ظهر في بلاد المغرب والصحراء في القرن الثالث والرابع الميلادي فقط حيث ادخلته الفرق الرومانية المساعدة القادمة من سوريا وتبناه الرحل بعد ان اصبحت الخيول تعاني من الطبيعة الجافة كما ذكر أن الجمل أدخل إلى الصحراء من قبل القبائل البربرية الهاربة من توسع الاحتلال الروماني نحو الجنوب بحيث غزا البربر الصحراء بواسطة الجمل، ويذهب كل من ش تيسو Ch. Tissot و ستيفان قزال S. Gsell إلى نفس الرأي، حيث يذكر قزال أن الجمل إنتشر على نطاق واسع في القرن الثالث والرابع الميلادي في الصحراء[6].

من جهة أخرى نقل جون لوا لوكلاك عن هنري بارث الرحالة المشهور في الصحراء قوله إن الجمل وجد منذ عهد الملوك النوميديين لكنه انتشر على نطاق واسع في القرن الرابع الميلادي، و في 200 م كان راكبوا الجمال الغرامنت يمولون حصن بونجيم Bu Njem حيث عم الجفاف كل المنطقة مما أدى إلى التخلى عن استعمال الخيول في الصحراء[7].

بلا شك فان الجمل يتلائم أكثر مع الصحراء في حين أن بيئة شمال إفريقيا لا تمثل بيئة مثالية له مما جعلنا نستغرب إمتلاك الملك النوميدي يوبا الاول

سنة 46 ق.م للجمال في سرتا زهي مدينة قسنطينة حاليا حيث لا يمكن للجمال أن تتواجد هناك حتى في هذا الزمن.

بلا شك فان الجمل قدمت إلى الصحراء من شمال إفريقيا إذ يذكر الباحث مونتيل أن انتقال الجمال كان من شمال إفريقيا إلى الصحراء بعد تحول المناخ إلى الجفاف أكثر[8]. بينما يذكر قوتي أن قبيلة زناتة هي من أدخلته إلى الصحراء[9].

مما سبق يتضح لنا أن الجمل كان موجودا في التاريخ القديم مثلما وجد في العصر الحجري القديم (الباليوليتي) ، مع ذلك تبقى فجوات زمنية هامة تحتاج منا إلى البحث فيها عن هذا الحيوان وهي فترة العصر الحجري الحديث (النيوليتي).وجب علينا في هذا الاطار أن نستنطق دلائل أخرى وهي الرسوم والنقوش الصخرية والكتابات القديمة.

ب. 1. 2 . دلائل الفن الصخري والنقوش الليبية :

قسمت مشاهد الفن الصخري الصحراوي الموجودة في مناطق الطاسيلي والهوقار من طرف أغلب الباحثين على غرار هنري لوت وهنري بروي حسب الحيوانات السائدة في المشاهد إلى عدة مراحل هي على التوالي:مرحلة الجاموس العتيق التي ظهرت فيها الحيوانات البرية مما يدل على أنها تمثل الصيادين، والمرحلة الثانية هي مرحلة ذوو الرؤوس المستديرة وهي مرحلة غامضة ظهرت فيها حيوانات برية كما ظهر اشخاص يمارسون طقوس تدل على انتشار ديانات روحانية بينهم وفي معظمهم كانوا من الصيادين، المرحلة التالية هي مرحلة الابقار وهي تمثل الرعاة، تليها مرحلة الخيول والعربات و يطلق عليها اسم المرحلة الليبية البربرية حيث يعتقد أن البربر قدموا إلى المنطقة و انتشروا في الصحراء وقد يكون مصدر الهجرة من الشرق أو من الشمال، المرحلة الأخيرة هي مرحلة الجمل والتي إستمرت إلى قدوم العرب، علما بأن المراحل الفنية الثلاث الاولى تعود إلى النيوليتي.

تنتشر المشاهد التي تمثل الجمال في كامل أنحاء الصحراء في كل من الطاسيلي والهوقار وفزان والصحراء الغربية ، لكن المشكلة هنا تتمثل في صعوبة التزمين بحيث لم يتمكن الباحثين من إعطاء إطار زمني دقيق لهذ المرحلة وهل هي متزامنة مع مرحلة الحصان والعربات التي تم الاقرار أنها تعود للمرحلة التاريخية.

الجمل كان ممثلا بكثافة خاصة في الصحراء وغالبا ما كان يركبه رجل أو يقوده أو في مشاهد لمعارك وغالبا ما تواجدت في نفس المشاهد كتابات ليبية وتواجدت الخيول ايضا وحيوانات أخرى [10]، وتكمن الصعوبة في تصنيف المشاهد فكثير ما كان الانسان ينجز رسوما وإظافات على المشاهد السابقة، ففي وادي سوفيات في منطقة أدرار إفوغاس شمال مالي تنتشر هذه المشاهد إلى جانب نقوش تمثل كتابة ليبية بربرية حيث يبدو الزنجار فاتح في مشاهد الجمال وغامقا في بقية المشاهد التي تمثل الأبقار والخيول مما يدل على أن الخيول تواجدت في فترة أقدم قليلا من الجمال إلى جانب مشاهد أخرى الحيوانات مثل الفيلة و الزرافات وبعض الحيوانات التي لا تنتمي بالضرورة إلى نفس الفترة[11]، (أنظر الشكل 2)

في حين نجد الباحث جون لوكلاك يقول أن الجمل يعود إلى المرحلة الاحدث في الفن الصخري، هنري لوت بدوره يذكر ان معطيات الفن الصخري تؤكد لنا أن الجمل كان معاصر للحصان وذلك لوجوده دائما مع شخصيات ذوو ريشات على الرأس مثلما لدى الليبيين لأننا نلاحظ استمرار تواجد سلاح الرمي الخاص بالمحاربين الليبيين[12].

بالنسبة للكتابات الليبية البربرية[***] لا يمكن الجزم بالوقت التي ظهرت فيه فمن الممكن أنها تعود إلى للألف الثانية قبل الميلاد والملاحظ أنها اليوم في الصحراء تغطى نفس المجال الذي يسكنه الطوارق والمجال الذي تتواجد فيه صور الحصان و العربات والجمل، والأقوام الليبية هي على الأرجح من طورت الكتابة الليبية وهي التي ساهمت في انتشار استعمال الجمال على نطاق واسع وذلك لا

يمنع أن الجمل كان موجودا الحصان إلى جانب إلا أنه لم ينتشر بكثرة إلا مع قدوم هؤلاء.

بما أننا لم نصل إلى نتيجة فيما يخص الفترة التي ظهر فيها الجمل في النقوش والرسوم، ولا توجد تفسيرات مقبوله توضح اسباب عدم وجود مشاهده في المراحل الفنية المتزامنة مع النيوليتي أي ما بين5000 إلى 2000 ق.م فهل يعني ذلك أنه إنقرض خلال هذه الفترة؟.

لا يمكن الجزم بذلك لكون البيئة كانت ملائمة له بالاظافة إلى أن حيوانات لها نفس نمط سلوكه مثل النعامة والزرافة والظباء والاروية ظلت موجودة منذ بداية النيوليتي إلى المرحلة التاريخية، فالنعامة مثلا ظلت متواجدة إلى فترة قريبة في المنطقة مع أن صورها تغطى كل مراحل الفن الصخري ففي موقع اقونار بالهوقار وحدها يبلغ عددها 81 نعامة، ومتواجدة ايضا في وادي جرات وفي تيت وفي الاطلس الصحراوي[13]، والزرافة التي يمكنها مقاومة الجفاف ظلت موجودة في كل المراحل الفنية[14].

ربما عدم تمثيل الجمل من طرف الانسان في تلك المراحل الفنية يعود لكونه لا يمثل أهمية من حيث الغذاء ولا أي دور ديني أو أسطوري لهم، على كل حال يمكن الحصول على بعض الاجابات إذا بحثنا في إتجاه آخر، فبعض الباحثين أكدوا أن الجمال قدمت من مصر بإتجاه بلاد المغرب فماهي الشواهد التي تدل عليه في مصر وفي الشرق الادنى عامة ؟.

ب. 2. الجمال في الشرق الادنى

ب.1.2 العصر الحجري الحديث (النيوليتي) :

أقدم الدلائل التي تعود إلى النيوليتي تتمثل في موقع كهف زاشيتو **Zachito** في جنوب إيطاليا الذي يعد فريدا من نوعه في ما يخص الحيوانات التي وجدت فيه حيث عثر فيه على عدة حيوانات مثل الكلاب والاغنام والابقار

والخنازير وفي الوقت الذي لم يوجد فيه أثر للحصان فقد وجدت هياكل عظمية للجمال وهو المكان الوحيد في أوربا الذي وجدت فيه بقايا تعود إلى نهاية النيوليتي للجمال يعتقد الباحث م راقاليا Regalia .M أنه الاكتشاف الوحيد في كل أنحاء العالم القديم الذي يعود للنيوليتي، ماعدا ذلك الذي إكتشفه بومال في الجزائر وبقايا فكين وجدت مع بقايا لماموث في موقع أويت Oit في رومانيا وكلا الموقعين يعودان إلى الباليوليتي [15].

وفي ببلوس **Byblos** على الساحل السوري تم إكتشاف إناء فخاري في شكل جمل مع أدوات أخرى تعود إلى زمن ما قبل السلالات في مصر، وقد لا يمثل ذلك بالضرورة دليلا على إستأناس الجمال وذلك لأنه كثير ما يتم تمثيل حيوانات متوحشة في الاواني الفخارية، وفي قبرص إكتشف العقيد دي سيزنولا تماثيل صغيرة لجمال تعود إلى النيوليتي ولكن دراسات أخرى أكدت أنها تعود إلى فترة متأخرة، كما أن الجمل أيضا وجدت في قبر يعود إلى عصر البرونز ووجدت بقايا عظمية لجمال في هذه الجزيرة أيضا.

ومن الممكن أن زمن تلك التماثيل هو نفس زمن تماثيل بيبلوس نظرا لوجود دلائل مؤكدة على علاقات باكرة ما بين مصر ما قبل السلالات وجزيرة قبرص، ومن المحتمل أن بقايا الجمال مصرها مصر في إطار علاقات تجارية قديمة.

أما فيما يخص النقوش المصرية التي تعود إلى العصر القديم فالملاحظ أن الجمال غير موجودة بينما وجدت صور للجمال في النقوش التي تعود للنيوليتي في صحراء العوينات عند الحدود مع ليبيا، كما أن المؤرخين القدامي لم يذكروا هذا الحيوان سواء في جزيرة العرب أو في سوريا وبلاد الرافدين أو إيران أو حتى في شمال إفريقيا[16].

ب.2.2 العصور القديمة:

وما وجد كله متعلق بالصور في الفخار المصري الذي يعود إلى فترة ما قبل الاسرات والأسر المصرية الاولى والتماثيل المكتشفة حيث عثر على رسوم

لجمال على أواني فخارية في منطقة "نقادة" تعود إلى 3300 ق.م كما عثر على نقش في منطقة أسوان يعود إلى عصر الأسرة السّادسة (2350-2200 ق.م) يمثّل جملا وعليه سائقه، و على نقش شبيه به في منطقة "قرنة" يعود إلى نفس الحقبة أي الأسرة السّادسة.

كما وجدت أواني فخارية في شكل راس جمل في المعادي تعود إلى ما قبل السلالات، ووجد جمل يحمل على ظهره شخصا ويقوده شخص أخر وجد منقوش في لوحة من الطين المشوي في مقبرة تعود إلى ما قبل السلالات شمال قرنة Gurna، وكان مولر قد وجد تمثال صغير من الحجارة تمثل جملا جالس سنة 1906، كما أن الباحث شيلد قد أكد وجود الجمل في فن بلاد الرافدين المتزامن مع ما قبل السلالات في مصر.

وجمل أبو صير الملك قد يكون منحدر من سلالة جمال البلايستوسان الاعلى التي كانت موجودة في شمال إفريقيا ، وكانت ابحاث قد قام بها تومبسون سنة 1934 في الفيوم قد افضت إلى إكتشاف حبل[4**] من الشعر يعود إلى الاسرة الرابعة وبتحليل الميكروسكوبي للعينة في متحف التاريخ الطبيعي في لندن وجد أنها تمثل وبر للجمل[17]، كما عثر على رأس جمل مصنوع من الطين المشوي في منطقة هيراكونيوبلس (كوم الاحمر حاليا) تعود إلى الاسرة الاولى ، فيما عثر على رؤوس جمال طينيّة بمدينة "أبيدوس" وأنصاب تمثّل جمالا وعليها رحالها تعود كلّها إلى عصر الأسرة الثانية عشرة 2000 سنة ق.م.

ذكر الباحث بودج أنه راى سنة 1906 تمثالا منقوشا لجمال في أبيدوس Abydos وفي نفس المكان عثر بيتري على نقوش لرؤوس جمال محفورة في الارضية تعود إلى عصر الاسرات، وعثر شاونفورت على نقوش في أسوان لجمل يقوده شخص ويوجد إلى جانبه نقوش لكتابة هيرطاقية تعود إلى الاسرة السادسة، تلك المعطيات أكدت أن الجمل كان منتشرا على الاقل فيما بين 2400 و2000 ق.م، وفي الفيوم وجدت جمجمة لجمل تؤرخ بما بين 2000 و1400 ق.م،

وإكتشف تمثال لجمل في منطقة مدمود وهي مشابهة لتمثال صغير لجمل موجود اليوم في متحف اللوفر والذي يعود إلى 1400 ق.م ، كما وجد إناء فخاري على شاكلة جمل في إحدى القبور التي تعود إلى الاسرة التاسعة عشر في الجيزة تعود إلى 1300 ق.م.

هناك دلائل على وجود الجمال في خرائب تل حلف شمال سورية حيث عثر على منحوتة بها صورة لجمل تعود إلى ما بين 1000 و900 ق.م، علما أن بقاياه إكتشفت أخيرا في منطقة الكرم في سوريا على بعد 250 كلمتر من دمشق ضمن طبقة اثرية تعود إلى الحضارة الموستيرية تؤرخ بما بين 130الف و 80 الف سنة[18].

تعتبر المنحوتات دليلا على إستأناس هذا الحيوان كما تدل على أنه يمثل دورا دينيا ايضا وفي هذا الاطار يذكر الباحث فرانز كوميت **Franz Cumont** أن السوريون القدامى وحتى سكان بلاد الرافدين كانوا يمثلون بعض ألهتهم بصور شبيهة بالجمال كما في تل حلف في بلاد الرافدين، وفي البتراء في سوريا أيضا وجدت تماثيل لآلهة تشبه الجمال كما وجد تمثال آخر قرب دمشق[19].

يؤكد الباحث بيتري أن الجمل كان منتشر على نطاق واسع في عهد رمسيس وأنه حيوان ذو قيمة، والباحث فون بيسينغ وجد تمثال صغير لجمل يحمل جرار يعود على نفس الفترة في بنها، كما أن نقوش تعود لفترة حكم الملك الاشوري اسراحدون في القرن السابع قبل الميلاد تذكر أن الملك وفر جمالا من أجل جلب الماء لجنوده في حملته على مصر.

وقد يعود غياب رمزه في الكتابة الهيروغليفيّة القديمة، إلى أن المصريّين لا يصورون أيّ حيوان في حروفهم ونقائشهم ما لم يكن مصريّ الأصل، ولهذا فإنّ الجمل والفيل رغم أنهما معروفان جدّا في مصر إلا أنه لا توجد لهم رموز في الكتابة المصرية [20]، وقد يكون الامر يتعلق بأسباب دينة فقد ذكر الباحث أوتو

كيلر Otto Keller "أنّ الجمل يعتبر حيوانا جهنّميّا تابعا لإله الشرّ ست ومن هنا عدم الاهتمام بتربيته وتمثيله على النّقائش والرّسوم[21].

كما أن المصريون يعتبرون الصحراء مرادفا للشر والموت وهذا ما يفسر أنهم كانوا يدفنون موتاهم في الغرب ويعادون كل ما يرمز إلى الصحراء وقد ينطبق الامر أيضا على شدة عدائهم تجاه الليبيين .

هناك تخمينات عديدة حول التاريخ الذي تم فيه إستأناس الجمل في مصر فقد ذكر سكينار أن الجمل كان موجودا في العهد اليوناني، في حين يذكر هيتي أن الجمل أدخل إلى مصر بواسطة الغزو الاشوري في القرن السابع قبل الميلاد، في حين يذكر موري أن الجمل أدخل إلى شمال إفريقيا من طرف الفرس سنة 525 ق.م وكان يستعمل في الحرب وأن انتشاره بين السكان قد تطلب عدة قرون بعد ذلك[22].

في حين نجد بعض الباحثين قد ذكر بعض الاشارات عن وجود قديم للجمل في وادي النيل وبلاد النوبة[23]، وأول ذكر له في النصوص المصرية كان في وثائق حملة الملك الاشوري أسرحدون الذي عبر منطقة سيناء بالجمال، كما أن كلمة ديموطيقية démotique التي تظهر في بردية بيدوبست الثانية Pedubast II التي تعود إلى الاسرة 25 هي مرادف للكلمة السامية قمالو gamalu وفي العربية جمل وفي العبرية قمال gâmâl، في بلاد النوبة الجمل لم يكن معروف قبل الالف الاولى قبل الميلاد لكن استعماله كحيوان للتنقل لم يكن قبل العهد البطلمي[24]، هناك دلائل كتابية الاخرى تدل على إستاناس الجمال تعود إلى ما بين247 ق.م و220 ق.م وتتمثل نقوش أدوليسAdulis[25].

ب.2 .3 نصوص العهد القديم:

ذكرت التوراة أنه عندما بلغ إسحاق سنا تؤله للزواج أرسل إبراهيم من يبحث له على زوجة عند بني عمومته الأرامين الغير وثنيين والذين كانوا يعيشون

في المناطق الشمالية لبلاد الرافدين ، وقد قام خادمه بإستأجار قافلة من الجمال ، فالجمال كانت مستأنسة على ما يبدو في الشرق في الفترة بين 2000 و 1500 ق.م[26].

علما بأن مختلف التخمينات حول عهد إبراهيم تتراوح بين 2500 و ق.م 1600ق.م حيث يذكر الباحث إيميل إيجر Émile Egger أن إستأناس الجمل[5*] في مصر مؤكد في زمن إبراهيم[27]. فقد جاء في سفر التكوين أن فرعون مصر أهدى لإبراهيم جمالا من بين الهدايا التي أعطاها له[28]. من هذه المعطيات يمكن القول أن الجمل كان موجودا طيلة تاريخ مصر لكنه لم يكن منتشر على نطاق واسع بل كان نادرا ووجوده قليل لقرون عديدة وذلك من بداية ظهوره مع نهاية الالف الرابعة إلى غاية انتشار استعماله بشكل واسع خلال العهدين الإغريقي والروماني.

أما الجمل البري فيبدو أنه كان موجودا في النيوليتي وفي العصر النحاسي مثلما تبينه المشاهد على ضفتي نهر النيل، وتمثال الجمل الجالس الذي لا يوجد له سنام يعود إلى ما قبل التاريخ في مصر أكتشفه البرت سنة 1949 الذي من الممكن أنه حيوان بري ، جثث متحجرة للجمال اكتشفت ايضا على طول سواحل شمال إفريقيا في سقوين بسطيف في الجزائر إكتشفه الباحث بومال وهو من نوع thomasi Camelus فكوك، اسنان، سيقان لجمال اكتشفت في اماكن عديدة في الجزائر في ملجأ صخري في فورد لو، وفي كهف في سعيدة وفي تغنيف بمعسكر، وربما بسبب تغير المناخ لم يعد الجمل موجود في شمال إفريقيا قبل فترة إستأناسه، فهذا النوع من الجمال قد دخل شمال إفريقيا بواسطة الجماعات المهاجرة من شبه الجزيرة العربية.

حيث ان الجمال التي تعود إلى فترة ما قبل الاسرات والأسرات الاولى في مصر تعود في اصولها إلى جمل شبه الجزيرة العربية وليس إلى الجمل البري الذي وجدت في شمال إفريقيا فيما قبل التاريخ وقد يكون تم إدخاله على طريقين أولا

مضيق السويس والثاني مضيق باب المندب حيث كان الوضع مختلف عن الآن وهنا نذكر من بين النصوص القديمة لبطليموس يقول فيه أن الجمال البرية لا تزال موجودة في عهده في شبه الجزيرة العربية[29].

انتشار الجمل في المنطقة قد يرجع أساسا إلى تدهور المناخ ذلك التدهور الذي يمكن تسجيله ابتداء من 2500 ق.م، من جهة ثانية فان معظم النقوش الصخرية التي تمثل الحصان والجمل موجودة قرب مصادر الماء سواء كانت في الطاسيلي أو الهوقار أو التيبستي مما يدل على وجود بيئة جافة مع العلم أن المناطق التي تتواجد فيها النقوش هي اليوم خالية من السكان فالجفاف كان تدريجيا.

قد تكون شبه الجزيرة العربية هي اقدم منطقة تم فيها إستأناس الجمال فمن جهة وجدت بقايا لجمال عملاقة شبيهة بتلك التي وجدها بومال في الجزائر ، ووجدت بقايا أخرى تعود إلى عصر البرونز في منطقة ابو ضبي بالامارات العربية المتحدة وقد إقترح زمن يتراوح بين 2600 و2000 ق.م ، غير أن دلائل أثريه من مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية تؤكد أن الاستأناس قد يكون اقدم من ذلك بكثير فقد يصل إلى الالف الرابعة قبل الميلاد [30].

في الاخير يمكن التأكيد أن الجمال اصيلة في شمال إفريقيا ومن الممكن أنه إنقرضت في فترة معينة ثم ظهرت في النيوليتي في الشرق الادنى حيث تم إستأناسه في فترة لاحقة من الالف الثالثة قبل الميلاد ، ومن مصر قدم إلى بلاد المغرب القديم حيث انتشر على نطاق واسع في الالف الاولى وظهر في مشاهد الفن الصخري الصحراوي بكثافة .

العصور		الامـــــاكن				
		اسيا	شرق أوربا	غرب أوربا	إفريقيا	أمريكا الشمالية
الزمن الجيولوجي الرابع	الهولوسان Holocene	بيبلوس (لبنان) هيراكنوبولس أبيدوس أسوان(مصر) تل حلف في العراق ،البتراء في سوريا	أويت (رومانيا) قبرص	زاشيتو (إيطاليا)	فوردلو كهف الصخرة المجاز	
	البلايستوسان Pleistocene	قرية الكرم (سوريا)			كيفان بن الغماري تغنيف بئر الشعاشع	
الزمن الجيولوجي الثالث	البليوسين Pliocene	بيتيك كوسكولسكاي	نوفوبتروفكا كيشورقان فيليكبروسكوي		كوبي فورا وادي النطرون كسوم بوقودي	بين 7 مليون و 3 مليون سنة إنتقال اللاما إلى أمريكا اللاتينية
	الميوسين Miocene	هيرقيس نور سوبانبينار بافيو دار	سنيافيسكا يا نوفوشيركا شيك إيياتوريا أوديسا يابلونيا	فانتا دالمورو ليبريا		كندا الولايات المتحدة الامريكية بين 25 مليون و 7مليون (الجمال واللاما)

	الاوليغوسين Oligocene					كندا ، قريلند، جنوب كاليفورنيا، المكسيك جزر الكرايبي
	الايوسين Eocene					كندا ، قريلند، جنوب كاليفورنيا بين 45 مليون سنة و 28 مليون سنة

الشكل 1 : مواقع تواجد بقايا الجمال

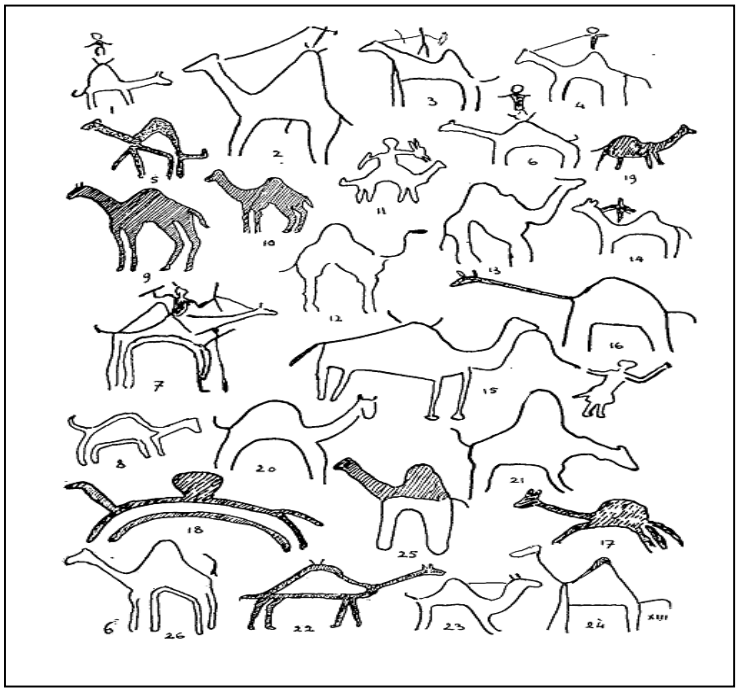

1، 2 ، 3 ،4 ، 5، 6 ، 7 ، 8 : منطقة هيروفاك بالهوقار، 9، 10 : منطقة أويلالان في أدرار إفوراس في مالي، 11 : منطقة جانت في الجزائر 12،13 ، 14 ،15، 16 ، 17 ، 18: منطقة تيت في الهوقار، 19 ، 20، 21 ، 22 ، 23 ، 24 : منطقة اقونار في الهوقار،25 ، 26 : منطقة إسالي سكين في الهوقار.

المصدر:

Lhote henri(1952) gravures peintures et inscriptions rupestre du kaouar de l'air, et de l'adrar des iforas, bulletin de i' l'IFAN. Tome 14,n°3, p128

الشكل 2:الجمل في مواقع الفن الصخري الصحراوي

❖ هوامش البحث

(1) Brian Kooyman, L. V. Hills, Shayne Tolman and Paul McNeil (2012) **Late Pleistocene Western** . Camel (Camelops Hesternus) Hunting in Southwestern Canada , American Antiquity Volume 77, Number 1 / January 2012, pp115-124

(2) John M. Harris, Denis Geraads And Nikos Solounias, Forty-One: Camelidae *In:* L . Werdelin & W.J. Sanders, Cenozoic Mammals Of Africa University Of Cali Fomi A Press. 2010, p815.

(*) villafrenchien في التقسيم الستراتوغرافي يمثل الحد النهائي للزمن الثالث إلى الزمن الرابع يتميز بالمستودعات القارية، ينظر:p348 , dictionnaire de geologie .

(3) I.A. Vislobokova M.V. Sotnikova Pliocene faunas with Proboscideans of the Former Soviet Union , **The World of Elephants - International Congress**, Rome 2001 pp 158-159.

(4) Vadim V. Titov And Vitaliy N. Logvynenko(2006) (Mammalia, Tylopoda) **Early Paracamelus In Eastern Europe Acta Zoologica Cracoviensia**, 49a(1-2): Kraków, 30 June, 2006, Pp163-176.

(**)بخصوص هذا النوع من الجمال يذكر الباحث جون لوكلاك أن هذا الحيوان يعود إلى البلايستوسان الاوسط وقد إنقرض في البلايستوسان النهائي وهو قريب الشبيه بالجمل ذو السنامين C Bactriane أنظر:

(5) Jean-Loïc Le Quellec (1998) **Art Rupestre Et Préhistoire Au Sahara Le Messak Libye**n,p 77 ,G. Camps, M. Peyron Et S. Chaker(1996) Dromadaire Encyclopédie berbère Vol , n°17, p 2541.

(6) Jean-Loïc Le Quellec (1998)op.cit, p77, Stéphane Gsell Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord. T I, Paris Librairie Hachette , p30.

(7) Jean-Loïc Le Quellec (1998).op.cit.p77.

(8) V Monteil (1952) **Essai sur le chameau au Sahara occidental** , Etudes Mauritaniennes, n°2 Institut .française d'Afrique Noire ,1952 .pp 131-130 .

(9) Demougeot Émilienne .**Le chameau et l'Afrique du Nord romaine .In : Annales, Économies Civilisations**, 15 ème année, ,N .1960 ,2 .p 210.

(10) G. Camps, M. Peyron Et S. Chaker op.cit. p 2541.

(11) Lhote henri (1952) **gravures peintures et inscriptions rupestre du kaouar des iforas,** de l'air et de l'adrar des iforas , bulletin de i' l'IFAN. t14,n°3, p1280.

(12) Jean-Loïc Le Quellec (1998), op.cit.p77.

(★★★)تظهر الكتابات الليبية البربرية في منطقة واسعة تمتد من جزر الكناري قبالة السواحل الأطلسية للمغرب الاقصى إلى الحدود الليبية المصرية ثم إلى غاية مناطق الساحل في كل من مالي والنيجر وبوركينافاسو وتشاد، أقدم الكتابات تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد على أن أشهرها تعود إلى فترة حكم الملك ماسينيسا و تؤرخ ب138 قبل الميلاد، أنظر:

Mohamed aghali – zakara et jeannine drouin(1997), **Ecritures libyco- berbères vingt- cinq siècles. d'histoire l'aventure des écritures**, Naissance , bibliothèque nationale de France, p9.

(13) Lhote H(1964) **Gravures rupestres d'Aguennar (Ahaggar) In :Journal de la Société Des Africanistes** ,1964 .t 34 fascicule..1 p65.

(14) Jean –loic le quellec (1999) **répartition de la grande, répartition de la grande faune sauvage dans le nord du l'Afrique durant l'holocène** .L'anthropologie: paris volume 103 n° 1 p 164. p 169.

(15) Zaborowski S .(1903)**Présence d'un chameau dans une grotte néolithique des environs de Sale.** Sud de l'Italie .(In :Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, V°Série ,tome 4 .1903 , p.558.

(16) Epstein H (1954) op.cit.p24.

(4*) يذكر لوكلاك أن هذا الحبل قد لا يكون مصنوع من وبر الجمل فقد يكون من شعر الماشية ، كما أن كلمة الجمل غير موجدة في اللغة المصرية القديمة أنظر:

Jean-Loïc Le Quellec (1998) op.cit. p77

(17) Epstein H (1954) op.cit.p248 .

(18) Desjardins (Ernest) (1864) **De l'emploi du chameau en Egypte**, Son absence dans les textes hiéroglyphiques, Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions & belles-lettres, tome 8, Paris :Librairie Auguste Durand, 1864, p. 329.

(19) Cumont Franz .**Un dieu syrien à dos de chameau .In :Syria** .Tome 10 fascicule 1929 ,pp30-35.

(20) Desjardins (Ernest)(1864) op.cit.p330.

(21) Keller (Otto) :(1909) **Die Antike Tierwelt, Leipzig: W. Engelmann**, 1909, p. 253.

(22) Epstein H .**Le dromadaire dans l'Ancien Orient .**In :Revue d'histoire des sciences et de leurs applications ,1954 .Tome 7 n°3 p247 .

(23) Léone Allard huard et Paul huard (1985) **Le cheval le fer et le chameau sur le Nil et au Sahara étude scientifique** septembre - décembre, 1985, p72.

(24) Jean-Loïc Le Quellec (1998)op.cit.p77.

(25) Egger(1864) Émile op.cit.p 329.

(26) Olivier Cair-Hélion(2004) **animaux de la bible: allégories et symboles** , Édition du Gerfaut, paris, , pp43-45 .

(5*) قبل إستأناس الجمال والحصان كان الناس يستخدمون الحمار الذي تم تدجينه في مصر بين 4600-4400 ق.م في موقع العماريEl-Omari ، وفي العراق وسوريا في مرحلة أوروك Uruk المتأخرة بين 3600 و 3100 ق.م ، وفي جبال زاغوروس في إيران فيما بين 3780 ق.م و 3050ق.م.

(27) Egger Émile .**À quelle époque le chameau a-t-il été introduit en Égypte comme bête de somme** .?In :Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres .1864 , n°8 , p.330.

(28) سفر التكوين12:16.

(29) Epstein H (1954) op.cit.pp248-251.

(30) Mark Beech ,Marjan Mashkour ,Matthias Huels & Antoine Zazzo prehistoric **Camels In South-Eastern Arabia** :The Discovery Of A New Site In Abu Dhabi's Western Region ,United Arab Emirates Proceedings Of The Seminar For Arabian Studies (2009) 39 ,P 17.